

مقدمة كتاب العقائد الانجيلية من أفواه المصلحين

في حلقة دراسية حول "الهوية الانجيلية في الشرق الأوسط"، أُقيمت بتاريخ ١٠/٩/١٩٨٩، ألقى اللاهوتي الانجيلي الدكتور جورج صبرا، رئيس كلية اللاهوت للشرق الأدنى، محاضرة بعنوان " الوجود الانجيلي في الشرق الأوسط: أزمة هوية". جاء في محاضرتة: "أن الانجيليين يعيشون أزمة هوية. وأحد الأسباب الرئيسية لهذه الأزمة، ترجع في جذورها الى، عدم فهم الانجيليين لأنفسهم ونشأتهم ووجودهم، في هذه المنطقة في العالم". ويعزو سبب ذلك، الى أن المرسلين الانجيليين الأميركيين، الذين وطئت أقدامهم هذه المنطقة، منذ بداية القرن التاسع عشر، كان منهجهم روحيا تقويا، يشدد على التوبة وأهمية العلاقة الروحية مع الله والصلاة ودراسة الكتاب المقدس. فهم كانوا وليدة حركة نهضة دينية روحية، حدثت في شمال شرق الولايات المتحدة، لهذا فانهم في كرازتهم بالانجيل في منطقتنا، ركزوا على اختبار المؤمن المسيحي لحضور الله في حياته، ولم يركزوا على تعليم العقيدة الانجيلية والفكر اللاهوتي الانجيلي. "إحدى معالجات أزمة الهوية الانجيلية"، يقترح الدكتور صبرا، "يكمن في العودة الى الجذور الانجيلية. إلى آباء الإصلاح من أمثال: مارتن لوثر، وأولترخ زوينكلي، وجون كلفن وغيرهم. الذين قادوا حركة الإصلاح الانجيلي في أوروبا في القرن السادس عشر. لأنه بالرغم من أنهم يكتشف الانجيليون في الشرق تراثاً لاهوتياً وروحياً أعمق وأغنى بكثير من التراث الذي وصلهم من خلال المرسلين الانجيليين التقويين. فالعودة الى جذور الحركة الانجيلية هي في الوقت نفسه عودة الى كلمة الله في الأسفار المقدسة والكنيسة الأولى وإلى المسيح نفسه". داعيا الانجيليين للبقاء أمناء لشخصيتهم التاريخية، مع الإنفتاح المحب على الآخر".

إن دعوة الدكتور جورج صبرا للعودة الى الجذور الانجيلية، تجد صداها في كتابي هذا، "العقائد الانجيلية من أفواه المصلحين". فمنذ أن كنتُ طالباً، كان لي شغف خاص، للتعرف على العقائد الانجيلية من أفواه المصلحين. اكتشفت خلال دراساتي وأبحاثي، غنى الفكر الانجيلي الذي نشأ في زمن الاصلاح الانجيلي في العديد من البلدان الأوروبية، مثل: ألمانيا، سويسرا، فرنسا، وغيرها. وهو للأسف، تراث انجيلي غني، غير معروف كما يجب، في كنائسنا ومنطقتنا العربية والشرق أوسطية. وما ساهم أيضا في النقص في المعرفة لهذا الفكر العظيم، هو ندرة الكتب العربية في الجوانب العديدة التي عالجها المصلحون انجيليون، من كتابية وعقائدية وروحية، واجتماعية وتربوية وسياسية وغيرها. وقد إخترت أن أحصر اهتمامي في هذا الكتاب بالحانب العقائدي فقط للحاجة الماسة الى توضيح هذه العقائد.

لم يكن التغيير الذي قام فيه مصلحوا القرن السادس عشر، تغييرا بسيطا. فما عدا التوافق على العقائد الأساسية التي تجمع كل المسيحيين، مثل: عقيدة الثالوث المقدس، طبيعتي المسيح، قوانين الإيمان، وحي الكتاب المقدس، وغيرها من العقائد الجامعة. فقد طال اصلاحهم الكثير من العقائد المسيحية الأخرى، التي هي مضمون هذا الكتاب. أيضا، لم يدعي المصلحين بأن هذا التغيير في عديد من العقائد، هو اختراع لعقائد جديدة، لم ترد في تاريخ الكنيسة، أو أنهم كانوا يؤسسون كنيسة جديدة، بدأت على عهدهم. إنما فهموا حركة الاصلاح هذه، على أنها عودة أصيلة الى تعاليم الكتاب المقدس، وتعاليم الكنيسة الأولى، وآبائها، لا سيما الأوائل منهم، وذلك بعد أن دخلت الكنيسة تعاليم أبعدها عن التعليم الكتابي الصحيح. فأساسات التغيير في كل العقائد التي ركزوا عليها استندت الى الكتاب المقدس، الذي اتّخذوه المرجع الأول والسلطة العليا، في العقيدة والايمان والحياة.

يتضمن هذا الكتاب عقائد انجيلية في مجالات متعددة، "آمن بها وعلمها مصلحين انجيليين، لا سيما المصلحين الأساسيين : مارتن لوثر، وجان كلفن.

نستهل الكتاب، بالتحدث عن مفهوم المصلحين للوحي في الكتاب المقدس، الذي يختلف في بعض تفاصيله بين مصلح وآخر. ثم نتعرف عن فهمهم لصورة الله في الانسان، وكيف شوّهتها الخطية. بعدها، نرى كيف أن المصلح كلفن، رأى في الذهن الانساني، مصنعا دائما للأصنام. بعدها نتعرف على مبادئ الإصلاح الأساسية، التي استندت إليها حركات الإصلاح الانجيلي في الدول الأوروبية المتعددة التي برزت فيها. والتي ركزت: أولاً، على مبدأ الكتاب المقدس وحده، وليس الكتاب المقدس والتقليد الكنسي بشكل متوازي، الذي تعتمده الكنيسة الكاثوليكية. كما نرى نظرة المصلحين الى كتابات أبوكريفا العهد القديم التي اختلفت عن نظرة الكنيسة الكاثوليكية. ثانياً، عقيدة يسوع المسيح وحده، الذي يكفي لخلاصنا، ولا حاجة الى شفاعات أخرى الى جانب الايمان بيسوع المسيح. ثالثاً، عقيدة النعمة وحدها، بواسطة الإيمان وحده، التي كانت نقطة محورية في جدالات المصلحين مع الكنيسة الكاثوليكية، التي علمت، بأن تبرير الإنسان الخاطيء أمام الله يكون بإيمانه وأعماله، واضعين الايمان والأعمال، في منزلة واحدة للخلاص أمام الله. فعلم المصلحون أن التبرير أمام الله، يكون بالايمان وحده من خلال النعمة وحدها. وما أعمال الإنسان الصالحة، إلا نتيجة طبيعية عفوية للإيمان الحقيقي. رابعاً، عقيدة المجد لله وحده، إذ أرجع المصلحون كل الفضل في الايمان والحياة الى الله وحده وليس الى أي استحقاق في الإنسان.

من العقائد المميّزة التي ركّز عليها المصلح مارتن لوثر، عقيدة كهنوت جميع المؤمنين، التي أزال ستار الفصل والتمييز بين الكهنة والعلمانيين، وركّزت على أهمية مساواة جميع الناس أمام الله وأمام بعضهم البعض. فقد علمت هذه العقيدة، بأن كل المؤمنين والمؤمنات هم، كهنة وكاهنات يستطيعون التواصل بشكل مباشر مع الله، دون الحاجة الى وساطة الكاهن. أما المصلح جان كلفن، فقد شدد على عقيدة سيادة الله، إذ أصرّ على أنه، إذا ما كان الله هو السيّد والخالق، فهذا يعني أنه يتحكّم بكل أحداث التاريخ في الماضي والحاضر والمستقبل، وأن لا شيء يحدث دون علمه وسيادته.

في موضوع عقيدة الكنيسة، فقد كان للمصلحين رأيهم حول مفهوم الكنيسة ومفهوم الوحدة في الكنيسة، الذي اختلف بعض الشيء عن المفهوم الكاثوليكي. اعتقد المصلحون، أن وحدة الكنيسة لا تكون تحت سيادة البابا، ولكن فقط تحت سيادة المسيح الذي هو وحده رأس الكنيسة، وأن مصدر وحدة الكنيسة هو يسوع المسيح وحده. وأن كل من يؤمن بالمسيح ينضمّ الى جسد الكنيسة الواحد. كما شدد المصلح جان كلفن على وجهي الكنيسة: الوجه المرئي من الناس، الذي هو الكنيسة المحليّة. والوجه غير المرئي من الناس، وإنما فقط مرئي من الله، أسموها الكنيسة غير المرئية، التي تضمّ كل المؤمنين والمؤمنات الحقيقيين في المسيح، أينما كانوا وإلى أيّة كنيسة مرئية انتموا. عرّف المصلح جان كلفن الكنيسة الحقيقية بأنها تملك سمتين رئيسيتين، هما: الوعظ باستقامة بإنجيل المسيح، والإجراء الصحيح لسرّي العشاء الرباني والمعمودية. لقد شددوا كثيراً على أهمية الوعظ في الكنيسة وجعلوا من العظة محور العبادة في الكنيسة. اعترفوا بوجود سرين فقط، خلافاً لاعتقاد الكنيسة الكاثوليكية بوجود سبعة أسرار، مقدّمين تفسيراً خاصاً لمعنى السر في الكنيسة. لقد نظروا الى سر المعمودية، على أنه علامة للدخول في الكنيسة المرئية. ورفضوا أن يروا في سر الافخارستية ذبيحة كفارية، لأن المسيح قدم نفسه مرة وإلى الأبد حياته على الصليب ذبيحة لأجلنا. الا أن المصلحين الرئيسيين الثلاثة: لوثر، وزوينكلي، وكلفن، اختلفوا فيما بينهم اختلافاً حاداً، حول تفاصيل كيفية حضور الله في العشاء الرباني. ثم نرى، لماذا رفض المصلحون اعتبار الزواج سرا، كما نرى رأي المصلح وليم بيركينس، لما أسمي، "سر المسحة الأخيرة.

أما بالنسبة لمفهومهم حول إدارة الكنيسة، فقد رفض المصلحون الانجيليون الهرمية الموجودة في الكنيسة الكاثوليكية، واعتقاد الكنيسة أن شرعية خدمة كهنتها وأساقفتها تستمد من التسلسل الرسولي، مقدّمين تفسيراً مميّزاً لمفهوم رسولية الكنيسة، لا على أنها ليست رسولية تاريخية، لكنها رسولية الأمانة لتعليم الرسل. إلا أنهم في نفس الوقت حافظوا على تقليد الرسامة في الكنيسة، واضعين أسساً كتابية لرسامة القسوس، مشددين على ضرورة أن يكون القسيس مثقفاً وقادراً على الوعظ والتعليم بكلمة الله. كما نرى مفهوم المصلحين لخدمة القسوسية، واختبار المصلح كلفن في هذا الحقل. وايضا رأيه في دور الشيوخ في الكنيسة.

بالنسبة لموضوع العبادة في الكنيسة، فقد أجروا اصلاحاً في ليتورجيا العبادة، اختلفت بشكل واضح عن القداس الإلهي الممارس في الكنيسة الكاثوليكية. دعا المصلح جان كلفن الى البساطة في العبادة. شدّد المصلح مارتن لوثر على أهمية الموسيقى في العبادة. رفضوا ممارسة التبخير في خدمات العبادة. كما شدّدوا على ضرورة أن يكون كتاب المزامير، كتاب ترانيم الكنيسة، للغنى الروحي وتنوّع المواضيع الذي يحتويه.

صرف مارتن لوثر وقتاً في إصلاح الإرشاد الرعوي في الكنيسة، لأنه اختبر شخصياً أن نقص وجود إرشاد رعوي صحيح، قاده الى القلق والخوف والشك. فالإرشاد الرعوي الصحيح، له تأثيراً كبيراً على حياة ونفسية الناس. لهذا، فإن اصلاح الارشاد الرعوي، كان حافزاً مهماً لإطلاق لوثر لحركة الاصلاح.

كما يتضمّن الكتاب أقوال المصلحين تتعلق بكيفية نمو الإنسان المؤمن في حياته الروحية مع الله. متوقفاً عند ستة مواضيع، هي: قوة الصلاة . كيفية الصوم. معجزة الغفران، حياة القداسة. وحمل الصليب.

يتضمّن الكتاب أيضاً، رأي المصلحين في دعوة الكنيسة الكاثوليكية من أبناءها وبناتها، الى طلب شفاعات القديسين. لا سيما شفاعة القديسة مريم العذراء، والعقيدة المريمية. بالإضافة الى التوقّف عند موقف المصلحين الإيجابي، من مكانة القديسة مريم العذراء المميزة، وضرورة تكريمها ولنما، بالحدود التي يسمح بها الكتاب المقدس فقط. بالإضافة الى نظرة المصلحين الايجابية الى آباء الكنيسة، وشغفهم الكبير في قراءة كتاباتهم، واضعين الكتاب المقدس، المقياس الأوحد، لقبول أو رفض أية كتابات يكتبونها.

ونخصص فصلاً كاملاً، لنظهر فكر المصلحين الايجابي حول القديسة مريم العذراء، نتأمل في كون حبها السابقة الأولى في التاريخ، في رأي المصلحين بعذراويتها الدائم، وحول اذا ما كان قد أطلق على الخوة المسيح الأربعة هم أولاد مريم أم لا، وسننهى هذا الفصل، بتقديم العقيدة الانجيلية حول مريم العذراء.

أيضاً، سنخصص فصلاً كاملاً لاطهار مواقف وآراء المصلحين من آباء الكنيسة، وكيف تأثروا بهم. وبالتحديد سوف نرى، تأثير القديس أو غسطينوس، والقديس يوحنا فم الذهب على فكر المصلحين.

كما سنأمل برأي المصلحين في حالة نفس المؤمن، في المرحلة المتوسطة ما بين الموت والقيامة في اليوم الأخير. وسنخصص، أيضاً فصلاً كاملاً، لنرى نظرة المصلحين، التي اختلفت بين بعضهم البعض، الى صور وتمائيل، المسيح والقديسين.

وفي الجزء الأخير من الكتاب، أتوقّف مع اعترافات الإيمان الانجيلية التاريخية، التي كتبت جميعها في القرن السادس عشر ما عدا اعتراف ايمان الويستمينستر الإنجيلي المصلح، الذي كتب في القرن السابع عشر.

فقد أدرك المصلحون، أهمية شرح إيمانهم وعقائدهم، لا سيما الجديدة منها للناس، حتى يعرف أمعتقوا مبادئ الاصلاح الانجيلي، ماهية اعتقاداتهم، مقابل اعتقادات وعقائد الكنيسة الكاثوليكية. وهكذا أسرد قصة أربعة اعترافات إيمان إنجيلية أساسية، هي: اعتراف إيمان الأنابنست، "شليثم". اعتراف إيمان أوغسبرغ اللوثيري. اعتراف إيمان الكنيسة الأنكليكانية. واعتراف إيمان الويستمينستر الإنجيلي المصلح.

وفي الفصل الأخير، أتوقف قليلاً عند المساهمة الكبيرة جداً لمطبعة ويتنبرغ في نشر وامتداد هذه العقائد الإنجيلية التي علّمها المصلحين، التي ربطت بين حركات الإصلاح الإنجيلية في البلدان الأوروبية المختلفة مما جعل من حركة الإصلاح الإنجيلية قوة تعزية كبيرة غيرت وجه أوروبا وأماكن كثيرة في العالم.

القس سهيل سعود